الفصل الثانى

المـــــوت

* ذكر الموت.
* الأعمال بالخواتيم.
* سكرات الموت.
* حالة الاحتضار.
* صور من أحوال المحتضرين.
* ما يسن عند الاحتضار.

obeikandl.com

ذكر المـوت

يقول الشيخ سعيد حوى – رحمه الله – : « فجدير بمن الموت مصرعه، والتراب مضجعه، والدود أنيسه، ومنكر ونكير جليسه، والقبر مقره وبطن الأرض مستقره، والقيامة موعده، والجنة والنار، مورده، أن لا يكون له فكر إلا في الموت ولا ذكر إلا له، ولا استعداد إلا لأجله، ولا تدبير إلا فيه، ولا تطلع إلا إليه، ولا تعريج إلا عليه، ولا اهتمام إلا به، ولا حول إلا له، ولا انتظار وتربص إلا له، وحقيق بأن يعد نفسه من الموتى ويراها فى أصحاب القبور، فإن كل ما هو آت قريب، والبعيد ما ليس بآت »(١).

أقسام الناس فى ذكر الموت :

الناس فى هذه الحياة إما منهمك وإما تائب مبتدىء، أو عارف منته.

أولا : المنهمك : وهو الذى يعيش هذه الحياة لذاتها، يأكل، ويشرب، ويتلذذ بمتع الحياة الدنيا، فلا يشغله إلا أن يأكل اللذيذ من الطعام، ويشرب البارد من الشراب، ويلبس الجميل من الثياب، وينام على الوثير من الفراش!! فهو لا يذكر الموت، وإن ذكر به تنغصت حياته، فيتأسف على دنياه فلا يزداد بذكر الموت إلا بعداً. وفى حق هؤلاء يقول تعالى :

﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر: ٣].

يقول صاحب الظلال – رحمه الله – : « ذرهم فيما هم فيه من حياة حيوانية محضة للأكل والمتاع، لا تأمل فيها ولا تدبر ولا استطلاع. ذرهم فى تلك الدوامة : الأمل يلهى والمطامع تغر، والعمر يمضى والفرصة تضيع. ذرهم فلا تشغل نفسك بهؤلاء الهالكين، الذين صلوا فى متاهة الأمل الغرور، يلوح لهم ويشغلهم بالأطماع، ويملى لهم فيحسبون أن أجلهم ممدود، وأنهم محصلون ما

---

(١) المستخلص فى تزكية الأنفس.

يطمعون لا يردهم عنه راد، ولا يمنعهم منه مانع. وأن ليس وراءهم حسيب؛ وأنهم ناجون فى النهاية بما ينالون مما يطمعون!

وصورة الأمل الملهى صورة إنسانية حية. فالأمل البراق ما يزال يخايل لهذا الإنسان، وهو يجرى وراءه، وينشغل به، ويستغرق فيه، حتى يجاوز المنطقة المأمونة؛ وحتى يغفل عن الله، وعن القدر، وعن الأجل؛ وحتى ينسى أن هنالك واجباً، وأن هنالك محظوراً؛ بل حتى لينسى أن هنالك إلهاً، وأن هنالك موتاً، وأن هناك نشوراً.

وهذا هو الأمل القاتل الذى يؤمر الرسول ﷺ أن يدعهم له.. «فسوف يعلمون» حيث لا ينفع العلم بعد فوات الأوان.. وهو أمر فيه تهديد لهم، وفيه كذلك لمسة عنيفة لعلهم يصحون من الأمل الخادع الذى يلهيهم عن المصير المحتوم» (١).

وعن أنس – رضى الله عنه – قال: «خط رسول الله ﷺ خطاً وقال: هذا الإنسان، وخط إلى جنبه خطاً وقال: هذا أجله، وخط خطاً آخر بعيداً منه فقال: وهذا الأمل، فبينما هو كذلك إذ جاءه الأقرب» (٢).

ثانياً: التائب المبتدىء: وهو يكثر من ذكر الموت ليبعث فى قلبه الخوف والخشية، وهذا التائب المبتدىء قد يكره الموت، وذلك خوفاً من أن يموت قبل الاستعداد والتزود له.

* قيل إن هارون الرشيد انتقى أكفانه بيده عند الموت وكان ينظر إليها ويقول: ﴿**مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ**﴾ [الحاقة: ٢٨ – ٢٩].

* وروى أن المأمون افترش رماداً واضجع عليه وقال: يامن لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه.

---

(١) فى ظلال القرآن جـ ٤ ص ٢١٢٦

(٢) رواه البخارى: كتاب الرقاق (١١/ ٢٣٥، ٢٣٦).

* قيل لعبد الملك بن مروان فى مرضه الذى مات فيه كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟ قال: أجدنى كما قال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ** ﴾ [الأنعام: ٩٤].

ثالثاً: العارف: وهو يذكر الموت دائماً لأنه موعد لقائه بحبيبه.

* لما احتضر مكحول ضحك، وكان الغالب عليه الحزن، فقيل له: لم ضحكت؟ فقال: دنا فراق من كنت أحذره، ولقاء من كنت أرجوه.

* ولما حضرت بلالاً - رضى الله عنه - الوفاة، قالت امرأته: واحزناه. فقال: بل واطرباه. غداً ألقى الأحبة محمداً وحزبه.

* وقيل للكسائى - رحمه الله - لما حضرته الوفاة: ما كان عملك؟ قال: لو لم يقترب أجلى ما أخبرتكم.. وقفت على باب قلبى أربعين سنة كلما مر عليه غير الله تعالى رددته عنه.

* لما حضرت الوفاة معاذ بن جبل - رضى الله عنه - قال: اللهم إنى كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك.. اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا لجرى الأنهار، ولا لغرس الأشجار.. ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.. فلما اشتد النزع به قال: وعزتك إنك لتعلم أن قلبى يحبك.. ثم أفاق، وكان له ولد قتل شهيداً، فقال: أتى ولدى فأخبرنى أنه لحق بالذين أنعم الله عليهم، وأن رسول الله ﷺ قد جاء فى مائة ألف من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ومائة ألف من الملائكة المقربين يتلقون روحى ويصلون على، ويشيعونى إلى قبرى. ثم جعل يصافح قوماً لم نرهم، ويسلم عليهم حتى طلعت روحه.. فلما مات رئى فى المنام على فرس أبلق وخلفه زحام كزحام منى ورجال بيض عليهم ثياب خضر على خيل بلق وهو يقول: ﴿ **يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ** ﴾ [يس: ٢٦، ٢٧].

* وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء: عظنى.. فقال: لست أول

خليفة تموت، قال زدني، قال: ليس من آبائك أحد إلى آدم إلا ذاق الموت، وقد جاءت نوبتك.. فبكى عمر لذلك.

* وكان الربيع بن خثيم قد حفر قبراً في داره.. فكان ينام فيه كل يوم مرات ليستديم بذلك ذكر الموت، وكان يقول: لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة واحدة لفسد.

فوائد ذكر الموت: لذكر الموت فوائد عظيمة منها:

* أن ذكر الموت يدفع الإنسان إلى التوبة، إذ أن الموت مصير محتوم، فهو باب وكل الناس داخله، حوض وكل الناس وارده، كأس وكل الناس شاربه.

قال تعالى مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾ [الأنبياء: ٣٤، ٣٥].

* أن ذكر الموت يزهد في الدنيا ويرغب في الآخرة وينشط الإنسان في العبادة. فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا من ذكر هاذم اللذات»(١).

وكان يزيد الرقاشي يقول لنفسه: ويحك يانفس، من ذا يصلي عنك بعد الموت؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت؟ من ذا يترضى عنك ربك بعد الموت؟ ثم يقول: أيها الناس: ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم؟ من كان الموت طالبه، والقبر بيته، والتراب فراشه. والدود أنيسه. وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر كيف يكون حاله؟ ثم يبكي حتى يسقط مغشياً عليه.

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: أتيت رسول الله ﷺ عاشر عشرة فقال رجل من الأنصار: من أكيس الناس وأكرم الناس يا رسول الله؟ فقال

---

(١) رواه الترمذي: الزهد (٩/١٨٧)، وقال: حديث حسن غريب، ورواه النسائي: الجنائز (٤/٤)، ورواه ابن ماجه: الزهد (٤٢٥٨)، ورواه الحاكم (٤/٣٢١) في الرقاق. وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه، ووافقه الذهبي وصححه الألباني بشواهده.

«أكثرهم ذكراً للموت وأشدهم استعداداً له، أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة»[1].

* أن ذكر الموت يلين القلب القاسي: فقد اشتكت امرأة إلى عائشة – رضى الله عنها – قساوة قلبها فقالت: أكثري ذكر الموت يرق قلبك.

* أن ذكر الموت يردع عن ارتكاب المعاصى ويمنع الفرح بها ويهون مصائب الدنيا: يقول التيمى – رحمه الله – شيئان قطعا عنى لذة الدنيا: ذكر الموت، وذكر الموقف بين يدى الله تعالى.

وكان الثورى – رحمه الله – إذا ذكر الموت لا ينتفع به أياماً. فإن سُئل عن شيء قال: لا أدرى لا أدرى.

وكان يوسف بن أسباط – رحمه الله – إذا شيع جنازة رجع الناس به محمولاً فى النعش.

وقد نظر أحد الصالحين إلى داره فأعجبه حسنها ثم بكى وقال: «والله لولا الموت لكنت بك مسروراً ولولا ما نصير إليه من طيف القبور لقرت بالدنيا أعيننا.

الأمور التى تذكر بالموت:

١ – حضور مجالس العلم ومدارسة قصص الصالحين من السابقين.

٢ – مشاهدة المحتضرين: فإن النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته، وتأمل صورته عند الموت وبعده كل ذلك يذكر العبد بالموت ويجعله يشمر للاستعداد له. فقد روى أن الحسن البصرى – رحمه الله– دخل على مريض يزوره فوجده يحتضر فنظر إليه، وإلى ما نزل به من كرب وشدة، فرجع إلى أهله، بغير اللون الذى خرج به من عندهم، فقالوا له: الطعام يرحمك فقال: يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم فوالله لقد رأيت مصرعاً لا أزال أعمل له حتى ألقاه.

---

(١) رواه ابن ماجه: الزهد (٤٢٥٩)، وحسنه الألبانى لطرقه، وهو رقم ١٣٨٥ فى الصحيحة.

٣ – زيارة القبور:

يقول رسول الله ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها» [١].

ويقول: «زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة» [٢].

وهذان الحديثان – وغيرهما – يفيدان جواز زيارة القبور للرجال والنساء – بآداب مخصوصة – إذا كان الغرض من الزيارة الاعتبار والاتعاظ.

فالقلوب تعتريها القسوة، وتنتابها الغفلة، فلابد لها من دواء يزيل صدأ الغفلة، وغبار القسوة، ومن أهم ما يصنع بها ذلك زيارة القبور.

يقول مالك بن دينار – رحمه الله – : أتيت القبور على سبيل الزيارة والتذكار والتفكر فى الموت والاعتبار، فتمنيت من يخبرنى عنهم بخبر، أو يقص لى من آثارهم بعض أثر، فقلت:

أتيت القبور فناديتها ... فأين المعظم والمحتقر

وأين المذل بسلطانه ... وأين العزيز إذا ما افتخر

قال: فنوديت من بين القبور:

تفانوا جميعاً فلا مخبر ... وماتوا جميعاً وصاروا عبر

وعادوا إلى ملك عادل ... عزيز مطاع إذا ما أمر

تروح وتغدو بنات الثرى ... فتمحو محاسن تلك الصور

فيا سائلى عن أناس مضوا ... أما لك فيما مضى معتبر

قال: فرجعت أبكى الدموع الغزار، واعتبرت بذلك أى اعتبار.

فزيارة القبور تجعل الإنسان يذكر أشكال أقرانه الذين مضوا قبله، فيتذكر

---

(١) رواه مسلم: كتاب الجنائز، باب استئذان النبى ﷺ ربه – عز وجل – فى زيارة قبر أمه، وأبو داود: كتاب الجنائز، باب فى زيارة القبور حديث رقم (٣٢٣٥) والترمذى فى: كتاب الجنائز (١٠٥٤)، والنسائى: الجنائز (٤/ ٨٩).

(٢) رواه ابن ماجة (١٥٦٩) الجنائز – عن أبى هريرة رضى الله عنه.

موتهم ومصارعهم تحت التراب، ويتذكر صورهم فى مناصبهم وأحوالهم، ويتأمل كيف محا التراب حُسن صورهم، كيف تبددت أجزاؤهم فى قبورهم، وكيف أرملوا نساءهم وأيتموا أولادهم وضيعوا أموالهم، وخلت منهم مجالسهم وانقطعت آثارهم، فيناديهم بلسان حاله قائلاً:

أحبابنا فارقتمونا فأوحشت قلوب ... لنا من بعدكم وديار
فكم تذاكرنا محاسن من قد مضى ... فجاءت دموع للفراق غزار
قضوا وقضيتم ثم نقضى فلا بقا ... لحى وكاسات المنون تدار
وكنا وإياكم نزور مقابراً ... ومتم فزرناكم وسوف نزار

أحاديث تمنع النساء من زيارة القبور:

هناك أحاديث تزجر النساء عن زيارة القبور: مثل حديث أبى هريرة: «أن رسول الله ﷺ لعن زوارات القبور» (١).

أحاديث تفيد الإذن للنساء بالزيارة:

ومنها الحديثان السابقان، إذ أن الخطاب فيها عام للرجال والنساء معاً.

ومنها: حديث عائشة - رضى الله عنها - قالت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ - أى إذا زرت القبور - قال: «قولى: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا - إن شاء الله - بكم لاحقون» (٢).

ومنها: حديث أنس - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ مر بامرأة تبكى عند قبر فقال: «اتقى الله واصبرى» فقالت: إليك عنى فإنك لم تصب بمثل مصيبتى.....» (٣).

فأنكر عليها الجزع ولم ينكر عليها الزيارة.

---

(١) رواه الترمذى فى الجنائز (١٠٥٦) وقال: حسن صحيح، وابن ماجة (١١٥٧٦)، وأحمد (٢/٣٣٧).

(٢) رواه مسلم فى الجنائز (٩٧٤)، والنسائى (٤/٩٣)، وأحمد (٦/٢٢١).

(٣) متفق عليه، كما فى اللؤلؤ والمرجان، حديث رقم (٥٣٣).

obeikandl.com

الجمع بين أحاديث المنع وأحاديث الإذن:

يمكن الجمع والتوفيق بين أحاديث المنع وأحاديث الإذن بحمل اللعن المذكور في الحديث على المكثرات من الزيارة – كما قال القرطبي – لما تقتضيه الصيغة «زوارات» من المبالغة، قال: ولعل السبب ما يفضي إليه ذلك من تضييع حق الزوج، والتبرج، وما ينشأ من الصياح ونحو ذلك.

قلت: لعل حكمة النهي عن زيارة القبور في البداية قرب عهدهم بالجاهلية فلما أن استقر الإسلام في القلوب ونبذ الناس ما كان من أمر الجاهلية، جاء نسخ الحكم بالنهي عن الزيارة، فإذا راعت النساء آداب الزيارة تحققت الحكمة منها وهي التذكير بالآخرة، وإلا حرمت الزيارة في حقهن لما يكون فيها من مخالفات شرعية.

هل يجوز زيارة قبور الكفار والظالمين؟

لما كان المقصود من الزيارة الاعتبار والتذكر، جاز زيارة قبور الكفرة والظالمين، ولكن يستحب البكاء عند المرور بقبورهم ومصارعهم، لما جاء عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه – لما وصلوا الحجر (ديار ثمود) «لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم ما أصابهم» (١).

آداب زيارة القبور:

* أن يقصد الزائر بزيارته العظة والاعتبار.
* أن يُعمل الفكر ويوقظ القلب بالتدبر ولا ينشغل عن ذلك بشيء.
* أن يستقبل وجه الميت ويسلم عليه ويدعو له، ومن ذلك ما رواه بريدة – رضي الله عنه – كان النبي ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم:

---

(١) رواه البخاري، ورواه مسلم: كتاب الزهد، باب النهي عن الدخول على أهل الحجر إلا من يدخل باكياً (صحيح مسلم بشرح النووي جـ١٨ ص ١١٠ : ١١١).

«السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، أنتم فرطنا ونحن لكم تبع، ونسأل الله لنا ولكم العافية» (١).

* أن يتجنب المخالفات الشرعية التى يقع فيها كثير من الناس، ومنها: الجلوس على القبر، لطم الخدود، وشق الجيوب، والدعاء بدعوى الجاهلية، التمسح بالأضرحة وتقبيلها، الاستعانة بأصحاب القبور، وطلب قضاء الحوائج منهم، والتوجه إليهم بالاستغاثة والتوسل.

* أن تتجنب المرأة التبرج والتعطر والذهاب وحدها إلى القبور.

* ألا تكثر النساء من الزيارة إذ أن ذلك يضيع حق الزوج والأولاد.

* * *

الأعمال بالخواتيم

يقول الله تعالى: ﴿ ... وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

يقول صاحب الظلال – رحمه الله – : «ويالها من صورة رهيبة مخيفة للقدرة القاهرة اللطيفة «يحول بين المرء وقلبه» فيفصل بينه وبين قلبه؛ ويستحوذ على هذا القلب ويحتجزه، ويصرفه كيف شاء، ويقلبه كما يريد. وصاحبه لا يملك منه شيئاً وهو قلبه الذى بين جنبيه ! إنها صورة رهيبة حقاً؛ يتمثلها القلب في النص القرآنى، ولكن التعبير البشرى يعجز عن تصوير إيقاعها فى هذا القلب، ووصف هذا الإيقاع فى العصب والحس! إنها صورة تستوجب اليقظة الدائمة، والحذر الدائم، والاحتياط الدائم. اليقظة لخلجات القلب وخفقاته ولفتاته؛ والحذر من كل هاجسة فيه وحمل ميل مخافة أن يكون انزلاقاً؛ والاحتياط الدائم للمزالق والهواجس.. والتعلق الدائم بالله – سبحانه – مخافة أن يقلب هذا القلب فى سهواته، أو غفلة من غفلاته، أو دفعة من دفعاته.. ولقد

---

(١) رواه مسلم: كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (٩٧٥)، ورواه النسائى فى الجنائز (٤/ ٩٤)، باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين.

كان رسول الله ﷺ وهو رسول الله المعصوم يكثر من دعاء ربه: «اللهم يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك» فكيف بالناس، وهم غير مرسلين ولا معصومين؟!

إنها صورة تهز القلب حقاً؛ ويجد لها المؤمن رجفة فى كيانه حين يخلو إليها لحظات، ناظراً إلى قلبه الذى بين جنبيه، وهو فى قبضة القاهر الجبار؛ وهو لا يملك منه شيئاً، وإن كان يحمله بين جنبيه ويسير!» (١) انتهى.

وعن أبى عبد الرحمن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال: «إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك، فينفخ فيه الروح، ويؤمر باربع كلمات: يكتب رزقه وأجله وعمله، وشقى أم سعيد، فوالله الذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها. وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» (٢).

وكان من السلف من يشتد خوفه من سوء الخواتيم، ومنهم من كان يشتد خوفه وقلقه من ذكر السوابق.

* وقد روى أن حذيفة بن اليمان - رضى الله عنه - قال عند احتضاره لابن مسعود - رضى الله عنه -: قم فانظر أى ساعة هى؟ فقام ابن مسعود ثم جاء فقال: قد طلعت الحمراء - يعنى الشمس - فقال حذيفة: أعوذ بالله من صباح إلى النار.

وروى أن أبا هريرة بكى عند موته ثم قال: «والله ما أبكى حزناً على الدنيا ولا جزعاً من فراقكم ولكن أنتظر إحدى البشريين من ربى بجنة أو نار.

---

(١) فى ظلال القرآن جـ٣ ص ١٤٩٥

(٢) رواه البخارى: كتاب القدر (جـ ١١ / ٦٥٩٤)، ورواه مسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمى فى بطن أمه.

* قالت عائشة – رضى الله عنها – كان النبى ﷺ يكثر أن يقول: «يامقلب القلوب ثبت قلبى على طاعتك» فقلت: يارسول الله: إنك تكثر أن تدعو بهذا الدعاء فهل تخشى؟ قال: «وما يؤمننى يا عائشة وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الجبار إذا أراد أن يقلب قلب عبده قلبه».

* وروى أنه لما نزل الموت بحذيفة جزع جزعاً شديداً وبكى بكاءً كثيراً فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ما أبكى أسفاً على الدنيا، بل الموت أحب إلىَّ ولكنى لا أدرى علام أقدم؟ على رضى أم على سخط؟

* وكان سفيان الثورى – رحمه الله – يشتد قلقه من السوابق والخواتيم، فكان يبكى ويقول: أخاف أن أكون فى أم الكتاب شقياً ويبكى ويقول: أخاف أن أسلب الإيمان عند الموت.

* وكان مالك بن دينار يقوم طول ليله قابضاً على لحيته ويقول: يارب قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، ففى أى الدارين منزل مالك؟

* يقول حاتم الأصم – رحمه الله – : من خلا قلبه من ذكر أربعة أخطار فهو مغتر فلا يأمن الشقاء: الأول: خطر يوم الميثاق حيث قال: هؤلاء فى الجنة ولا أبالى وهؤلاء فى النار ولا أبالى، فلا يعلم فى أى الفريقين كان. والثانى: حين خلق فى ظلمات ثلاث، فنادى الملك بالشقاوة والسعادة، ولا يدرى أمن الأشقياء هو أم من السعداء.

والثالث: ذكر هول المطلع، فلا يدرى أيبشر برضا الله أم بسخطه.

والرابع: يوم يصدر الناس أشتاتاً، فلا يدرى أى الفريقين يسلك به.

* وقيل لإبراهيم بن أدهم – رحمه الله – اجلس إلينا تحدثنا. قال: حتى أفرغ من ثلاث: قيل: وما هى؟ قال: الأولى: لما نزل الملك لتصويرى فى الرحم وقال: يارب أشقى أم سعيد؟ فما أدرى ما كان الجواب؟

الثانية: حينما ينزل الملك لقبض روحى ويقول: يارب: على الإيمان أم على الكفر؟ فما أدرى ما يكون الجواب؟

الثالثة: لما يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وينادى المنادى: ياأهل الجنة: خلود بلا موت، وياأهل النار: خلود بلا موت، فما أدرى مع أى الفريقين أكون.

* **علامات سوء الخاتمة:**

اعلم أن سوء الخاتمة لا يكون إلا لمن استقام ظاهره، واعوج باطنه، فخطاب خارجه وخبث باطنه.

ففى الصحيحين عن سهل بن سعد أن النبى ﷺ التقى هو والمشركون وفى أصحابه رجل لا يدع شاذة ولا فاذة إلا أتبعها يضربها بسيفه، فقالوا: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ هو من أهل النار، فقال رجل من القوم: أنا أصاحبه فاتبعه، فجرح الرجل جرحاً شديداً فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه على الأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على نفسه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله، وقص عليه القصة، فقال رسول الله ﷺ إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة»[1].

يقول ابن رجب – رحمه الله –: وقوله: فيما يبدو للناس إشارة إلى أن باطن الأمر يكون بخلاف ذلك وإن خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس، إما من جهة عمل سيء ونحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت، وكذلك قد يعمل الرجل عمل أهل النار وفى باطنه خصلة خفية من خصال الخير فتغلب عليه تلك الخصلة فى آخر عمره فتوجب له حسن الخاتمة»[2].

ولا يخفى على عاقل أن كثرة الذنوب والمعاصى، والإصرار على ذلك دون

---

(١) رواه البخارى، ورواه مسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمى فى بطن أمه ص ١٩٩ شرح النووى.

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٥٣

توبة، واستصغار الذنوب وتحقيرها، والفرحة والمجاهرة بها، كل هذه الأمور قد تورث سوء الخاتمة، إذ أن الموت قد يبغت الإنسان على هذه الحال.

ولا شك أن هذه الأمور تفسد القلب وتصرفه عن حب الطاعة والقيام بها ولا يعنى ذلك أن يتكل أهل الطاعة على ذلك ويأمنوا مكر الله.

يقول القرطبى – رحمه الله – قال العلماء: «وإذا كانت الهداية إلى الله معروفة، والاستقامة على مشيئته موقوفة، والعاقبة مغيبة، والإرادة غير مغالبة، فلا تعجب بإيمانك وعملك وصلاتك وصومك وجميع قربك، فإن ذلك وإن كان من كسبك فإنه من خَلق ربك وفضله الدارّ عليك وخيره، فمهما افتخرت بذلك، كنت كالمفتخر بمتاع غيره، وربما سلب عنك فعاد قلبك من الخير أخلى من جوف البعير، فكم من روضة أمست وزهرها يانع عميم. فأصبحت وزهرها يابس هشيم، إذ هبت عليها الريح العقيم. كذلك العبد يمسى وقلبه بطاعة الله مشرق سليم، فيصبح وهو بمعصيته مظلم سقيم. ذلك فعل العزيز الحكيم الخلاق العليم»[1].

*** حسن الظن بالله:**

يعيش العبد فى الدنيا بين خوفه من ربه ورجائه رحمته، حتى إذا كان وقت الاحتضار غلب عليه رجاؤه فى الله وحسن ظنه به.

يقول جابر بن عبد الله – رضى الله عنهما – قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل»[2].

وحسن الظن بالله عند الموت يكون نتاج عمل وسعى وإلا فهو أمنية فارغة فالرجاء فى رحمة الله يتطلب عملاً يقرب المرء من هذه الرحمة، مثل الإيمان والهجرة، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والدعوة إلى الله، يقول

---

(١) التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ٤٤

(٢) رواه مسلم (١٧ / ٢٠٩) صفة الجنة، ورواه أبو داود (٢٠٩٧) الجنائز.

تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

ويقول ﷺ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله» (١).

ولما حضرت الوفاة الجنيد – رحمه الله – أخذ يقرأ القرآن حتى ختم، فقيل له يا أبا القاسم: فى مثل هذه الحالة؟!

فقال: ومن أولى بهذا منى والآن تطوى صحيفتى؟!

ولما حضرت محمداً بن كعب القرظى الوفاة، وكان غنياً، سأله أصحابه: ماذا تركت لأولادك من المال؟ فقال: ادخرت مالى لنفسى عند ربى وادخرت ربى لأولادى.

كراهية تمنى الموت:

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: «قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت إما محسناً فلعله يزداد، وإما مسيئاً فلعله يستعتب» (٢).

وعن أنس – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه (أى فى دنياه) فإن كان لابد فاعلاً فليقل: اللهم أحينى ما كانت الحاة خيراً لى، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى» (٣).

* * *

---

(١) رواه ابن ماجة من حديث شداد بن أوس (٤٢٦٠)، ورواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبى (٤/٢٥١).

(٢) رواه البخارى (١٠/١٢٧)، ومسلم (١٧/٨) بمعناه، والنسائى (٤/٣١٢) الجنائز.

(٣) رواه البخارى ومسلم.

سكرات الموت

يقول الله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].

ويقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤ - ٣٥].

فهذه سنة الله تعالى مع جميع خلقه - حتى حبيبه ﷺ -.

يقول الغزالي رحمه الله: (اعلم أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا حول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديراً بأن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره، ويفارقه سهوه وغفلته، وحقيقاً بأن يطول فيه فكره، ويعظم له استعداده، لاسيما وهو في كل نفس بصدده، كما قال بعض الحكماء: كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك) انتهى.

وتقول السيدة عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ - كانت بين يديه ركوة - أو علبة - فيها ماء، فجعل يُدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه، ويقول لا إله إلا الله إن للموت سكرات) [1].

ورُوي أن الموت أشد من ضرب بالسيوف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض.

الكفار في سكرات الموت:

يقول تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: ٥٠ - ٥١].

---

(١) رواه البخاري.

وضرب الملائكة لهم على الوجوه والأدبار فيه ما فيه من المهانة والإذلال وكسر لأنوفهم وكبريائهم الذى منعهم من الإيمان بالله ورسوله، فضلاً عن الإيلام الناتج عن ضرب البدن. وكل ذلك بما قدمت أيديهم من محاربة الله ورسوله والمؤمنين.

الظالمون فى سكرات الموت:

يقول الله تعالى: ﴿ .... **وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ * وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ**﴾ [الأنعام: ٩٣ – ٩٤].

وهاتان الآيتان تصوران حالة الظالمين – المشركين – فى سكرات الموت إذ الملائكة يضربونهم، ويذيقونهم الذل والهوان بما كانوا يفترون على الله غير الحق، وبما كانوا يستكبرون.

المؤمنون فى سكرات الموت:

يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ**﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢].

فهى البشرى تزفها الملائكة للمؤمنين فى سكرات الموت، وبعده، تؤمنهم من الخوف، وتطمئنهم من القلق والحزن، وتؤنسهم بمصاحبتهم، وتشوقهم إلى الجنة ونعيمها، وتبشرهم بمغفرة الله ورحمته.

ويقول تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤].

ويقول تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

ويقول تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢].

يقول عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - : إذ جاء ملك الموت يقبض روح المؤمن قال: ربك يقرئك السلام.

وعن عبادة بن الصامت - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، قالت عائشة - أو بعض أزواجه - إنا لنكره الموت قال: ليس ذلك، ولكن المؤمن إذ حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه. وإن الكافر إذا حُضر بشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله، وكره الله لقاءه» (١).

وفى رواية أخرى للبخارى ومسلم والترمذى والنسائى «إذا شخص البصر وحشرج الصدر واقشعر الجلد وتشنجت الأطراف فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» (٢).

وقيل: فتح عبد الله بن المبارك عينيه عند الوفاة وضحك وقال: لمثل هذا فليعمل العاملون.

* * *

(١) رواه البخارى: كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.
(٢) رواه البخارى ومسلم.

حالة الاحتضار

يقول الله تعالى: ﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ* وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [القيامة: ٢٦ - ٣٠].

وحيث تبلغ الروح التراقي يكون النزع الأخير، والحاضرون حول المحتضر يتلمسون الحيل، والوسائل، والرقى، والطب، لعلهم يخففون عنه، فيعيش سنة أو سنتين، أو يوماً أو يومين أو ساعة أو ساعتين، ولكن هيهات.. هيهات.

يصف الله عجز الحاضرين، فيقول تعالى: ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ * فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٣ - ٩٤].

* * *

صور من أحوال المحتضرين

* احتضار أبي بكر الصديق (رضي الله عنه):

لما احتضر أبو بكر - رضي الله عنه - جاءت عائشة - رضي الله عنها - فتمثلت بهذا البيت:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى
إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال: ليس كذا، ولكن قولي:

« وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد » انظروا ثوبيَّ هذين فاغسلوهما وكفنونى فيهما، فإن الحى إلى الجديد أحوج من الميت.

وقالت عائشة – رضى الله عنها – عند موته:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

ربيع اليتامى عصمة للأرامل

فقال أبو بكر: ذاك رسول الله ﷺ.

ودخلوا عليه فقالوا: ألا ندعو لك طبيباً ينظر إليك؟

قال: قد نظر إلى طبيبى، وقال: إنى فعال لما أريد.

* **احتضار عمر بن الخطاب (رضى الله عنه):**

لما حضرت الوفاة عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – كان يبكى فدخل عليه عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما – وقال له: يا أمير المؤمنين أبشر بالجنة. لقد آمنت برسول الله يوم كفر به الناس، ونصرته يوم خذله الناس، وبشرك الرسول بالجنة ومات الرسول ﷺ وهو راض عنك، ولم يختلف على خلافتك اثنان ومت شهيداً فأبشر بالجنة. فقال له عمر: يا ابن عباس أعد هذا الكلام مرة أخرى فأعاده ابن عباس، فقال له عمر: والذى بعث محمداً بالحق لو كانت لى الدنيا وما فيها لافتديت بها من هول المطلع عند سكرات الموت.

* **احتضار الشافعى – رضى الله عنه –:**

دخل المزنى على الشافعى – رحمهما الله – فى مرضه الذى توفى فيه فقال له: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ فقال: أصبحت من الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، ولسوء عملى ملاقياً، ولكأس المنية شارباً، وعلى الله تعالى وارداً، ولا أدرى: أروحى تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزيها، ثم أنشأ يقول:

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى

جعلت رجائى نحو عفوك سلماً

تعـــاظمنى ذنبى ، فلمـــا قـــرنتـــه

بعـفـــوك ربى ، كـــان عـــفـــوك أعظمـــا

فـــمـــا زلتَ ذا عـــفـــو عن الذنب لم تزل

تجـــود وتعـــــفـــــو منة وتكرمـــــا

*** احتضار عبد الملك بن مروان :**

لما حضرته الوفاة قال أشرفوا بى على الغوطة (فى دمشق) ففعلوا فرأى غسالاً يلوى ثوباً بيده، ثم يضرب به المغسلة، فقال: ليتنى كنت غسالاً آكل من كسب يدى يوماً بيوم ولم آل من أمر الدنيا شيئاً، فبلغ ذلك أبا حازم – التابعى – فقال: الحمد لله الذى جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه، وإذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه.

*** احتضار عمر بن عبد العزيز – رضى الله عنه – :**

لما حضرته الوفاة بكى، فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ أبشر، فقد أحيا الله بك سنناً، وأظهر بك عدلاً، فبكى ثم قال: أليس أوقف فأسأل عن أمر هذا الخلق، فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسى ألا تقوم بحجتها بين يدى الله.. فكيف بكثير مما صنعنا؟! وفاضت عيناه، فلم يلبث إلا يسيراً حتى مات.

*** احتضار محمد بن المنكدر (رضى الله عنه) :**

لما حضرته الوفاة جزع جزعاً شديداً فقيل له: لم تجزع؟

قال: أخشى آية من كتاب الله، وهى قوله تعالى:

﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٤٧].

فانا أخشى أن يبدو لى من الله ما لم أحتسب.

* * *

ما يسن عند الاحتضار

١ – يستحب أن يحضر الميت الصالحون وأهل الخير حالة موته ليذكروه، ويدعوا، لحديث أم سلمة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون» (١).

ويستحب لهم أن يحدثوه بالرخص والرجاء ليحسن ظنه بالله.

٢ – تلقين المحتضر «لا إله إلا الله».

وتلقينه الشهادة يكون بالنطق بها بصوت مسموع ليذكره بها فيقولها، فإذا قالها مرة فلا يعاود التلقين ما لم يتكلم بكلام آخر بعدها.

عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله» (٢).

٣ – توجيهه إلى القبلة على شقه الأيمن، لحديث أبي قتادة: أن النبي ﷺ لما قدم المدينة، سأل عن البراء بن معرور؟ فقالوا: توفي وأوصى بثلث ماله لك، وأن يوجه للقبلة لما احتضر. فقال ﷺ: «أصاب الفطرة، وقد رددت ثلث ماله على ولده» (٣).

٤ – قراءة سورة يس: لما رُوي من حديث معقل بن يسار – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «يس قلب القرآن، لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له، واقرؤوها على موتاكم» (٤).

---

(١) رواه مسلم: كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المريض والميت وإغماض الميت.

(٢) رواه مسلم: كتاب الجنائز، باب تلقين الموتى لا إله إلا الله، ورواه الترمذي: كتاب الجنائز، باب ما جاء في تلقين المريض عند الموت، حديث رقم (٩١٦)، ورواه أبو داود: كتاب الجنائز، باب في التلقين، حديث رقم (٣١١٧)، ورواه النسائي: في كتاب الجنائز، باب تلقين الميت (٤/٥). (٣) رواه الحاكم وصححه.

(٤) رواه أبو داود: كتاب الجنائز، باب القراءة على الميت، حديث رقم (٣١٢١)، ٣/١٩١ ورواه ابن ماجة: كتاب الجنائز، باب (٤)، ما جاء فيما يقال عند المريض إذا حضر، (١٤٤٨) ورواه أحمد في مسنده (٥/٢٦ – ٢٧).

٥ – تغميض عينيه إذا مات، لحديث أم سلمة، أن رسول الله ﷺ دخل على أبى سلمة، وقد شق بصره فأغمضه ثم قال:

«إن الروح إذا قبض تبعه البصر» (١).

ومعناه: أن البصر ينظر إلى الروح أين يذهب؛ والحكمة من التغميض أن لا يقبح منظره لو ترك إغماضه.

٦ – تسجيته (تغطيته)، فعن عائشة – رضى الله عنها – أن النبى ﷺ حين توفى سُجى ببرد حبرة» (٢).

٧ – المبادرة بتجهيزه، إذا تحقق موته. فيسرع وليه بغسله ودفنه مخافة أن يتغير.

٨ – قضاء دينه: لحديث أبى هريرة – رضى الله عنه – أن النبى ﷺ – قال: «نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه» (٣).

أى لا يحكم له بنجاة ولا بهلاك؛ هذا فيمن له مال، وأما من لا مال له ومات عازماً على القضاء قضى الله عنه.

* * *

---

(١) رواه مسلم: كتاب الجنائز، باب (٤) فى إغماض الميت ٢ / ٦٣٤، ورواه الترمذى: كتاب الجنائز، باب ما جاء فى تلقين المريض عند الموت والدعاء له. حديث رقم (٩٧٧)، ورواه أبو داود: كتاب الجنائز، باب ما يستحب من تطهير ثياب الميت عند الموت، حديث رقم (٣١١٣٤ – ٣١١٣٥) ٣ / ١٩٠، ورواه النسائى: كتاب الجنائز، باب كثرة ذكر الموت ٤ / ٤ – ٥

(٢) رواه البخارى: كتاب الجنائز، باب الثياب البيض للكفن، حديث رقم (١٢٦٤)، ورواه مسلم: كتاب الجنائز، باب (١٤) تسجية الميت ٢ / ٦٥١

(٣) رواه الترمذى: كتاب الجنائز، باب ما جاء عن النبى ﷺ أنه قال: نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه، حديث رقم (١٠٧٨ – ١٠٧٩)، ورواه ابن ماجة: كتاب الصدقات، باب (١٢) التشديد فى الدين، حديث رقم (٢٤١٣) ٢ / ٨٠٦

حكم البكاء على الميت

يحوز البكاء على الميت، إذا خلا البكاء من الصراخ والنواح ودعوى الجاهلية، وفى الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا أو يرحم»[1] وأشار إلى لسانه.

فإن أوصى الميت - قبل موته - بالصراخ والنواح عذب بفعل ذلك عليه، لحديث المغيرة بن شعبة - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نيح عليه فإنه يعذب بما نيح عليه»[2].

وينبغى على المسلم أن يهيء أهله لتلقى أقدار الله بالصبر والرضا، كما ينبغى عليه أن يوصى ألا يُفعل عليه شيء من أمر الجاهلية، وذلك حتى يكون بريئاً من ذلك إذا حدث بعد وفاته.

* * *

(١) رواه البخارى: كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض (٣/١٣٠٤).

(٢) رواه البخارى: كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت (٣/١٢٩١).

obeikandl.com

الإحداد على الميت

والإحداد: هو ترك ما تتزين به المرأة، من الكحل والثياب وغيرها.

ويجوز للمرأة أن تحد على قريبها الميت ثلاثة أيام – ما لم يمنعها زوجها – ويحرم عليها أن تحد عليه فوق ذلك؛ فإذا كان الميت زوجها وجب عليها أن تحد أربعة أشهر وعشرا. لحديث أم عطية – رضى الله عنها – «لا تحد امرأة على ميت فوق ثلاث إلا على زوجها فإنها تحد عليه أربعة أشهر وعشراً» (١).

وذلك مراعاة لحقه، ووفاءً له.

هل يجوز إعداد الكفن والقبر قبل الموت؟

نعم: يجوز ذلك، يقول الإمام أحمد: «لا بأس أن يشترى الرجل موضع قبره، ويوصى أن يدفن فيه» وروى من عثمان وعائشة وعمر بن عبد العزيز – رضى الله عنهم – أنهم فعلوا ذلك» (٢).

* * *

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

(٢) نقلاً عن كتاب «فقه السنة» للشيخ السيد سابق – رحمه الله –.

obeikandl.com